

على هامش النفر:

للأجيال المقبلة صوراً حية قوية من حياة المفكرين والكتاب
المعاصرين . »

وهذا كلام صحيح في مجوعه ، وإن لم يكن ضرورياً في كل
حين وأنا قد قلت شيئاً منه في مناسبات سابقة :

فمنذ اثني عشر عاماً كنت أقدم الديوان الأول لزميلي
وصديقي الشاعر « عبد العزيز عتيق » — وكنت وإياه ما تزال
طالبين — فجاء في مقدمتي هذه الفقرات :

« أعتقد أنني أحق إنسان بأن أكتب هذه المقدمة لديوان
« عتيق » وأنه لو لم يطلب مني وضعها لتقدمت أطلبه منه . ذلك
أنني قد أكون أعرف الناس بشخصيته ، وبالعوامل التي تحتلج
في نفسه ، والظروف التي تحيط به ؛ وما كان هذا الشعر إلا صدى
لهذه المجموعة ، وصورة أخرى لها . ولقد قاسمته كثيراً من
هذه المواطن التي سجلها الديوان ؛ وشاركته كذلك بعض
ظروفها . والذي لم أكن موافقاً عليه من ناحية نسجه ومنحاه ؛
كنت موافقاً على الظرف الذي انبعث عنه ، والمناطفة التي أمثلته
« وإني ليأل إلى اعتبار شخصية الشاعر جزءاً من ديوانه ،
— إن لم تكن هي كل ديوانه — فمعرفة الناقد بشخصية من
ينقده أمر ضروري له في تحليله . وهو إذا لم يعرفها استعان على
معرفة آثارها المكتوبة . فإذا قلت : إنني قد أكون أعرف
الناس بشخصية صاحب هذا الشعر ، كان ذلك معادلاً للقول
بأنني أحق إنسان بأن يقدمه للناس . »

« وأنا اليوم حينما أريد أن أعرف صدق الشاعر في التعبير
عن شعوره — وهو عندي مناط الشاعرية — لا أجهد نفسي
في التحليل والتحخيص . وتخرج المعاني ومراجعة الأحاسيس .
كلما فإن لدى صورتين حاضرتين : صورة صاحب الديوان
وتصرفاته في الحياة وأفكاره وخواطره ودراسته . . . الخ .
وصورته الأخرى المخطوطة في ديوانه . وما على حين أشاء معرفة
صدقه من كذبه ، إلا أن أوازن بين الصورتين ، فيمتاز الشوه
والدخيل . وتبين مواضع التزييف والمغالطة ، أو تستقيم
الصورتان وتنعقد الفروق . . . »

خواطر متساوقة

في النقد والادب والاخلاق

للأستاذ سيد قطب

كنت أعد مقالاً للرسالة عن « ملهم الأكبر » كتاب
الأستاذ « عادل كامل » ، حينما وصل إلى منها العدد الأخير ،
فقرأت فيه كلمة الأديب الفاضل « فوزي سليمان » الموجهة إلى
في باب البريد الأدبي عن الناقد بين الكتب والشخصيات . وقد
رأيت في هذه الكلمة ما يدعو إلى البيان المفيد . ولم أجد بأساً
من تأخير الكتابة عن « ملهم » . فهذا الشاب الفقير « ملهم »
قد صار من أغنياء الحسب كما يقول مؤلفه . وحسب أغنياء
الحسب ما هم فيه من ثراء ، ولا ضير عليه حين يتأخر نصيبه من
الأدب . بل لعله لا يحفل مطلقاً بهذا النصيب !!! ثم إن له لدينا
حساباً عسيراً عن أخلاقه وأعماله وآرائه . ومن حقه علينا وقد
أصبح من الأثرياء أن نقرغ لحسابه بما يناسب المقام !!!

يقول الأديب الفاضل :

« لاحظت في سلسلة مقالاتك النقدية عن « عالم القصة »
أنك تكرر في كثير منها قولك : « إنك لا تعرف — ولم تر —
شخصاً أغلب من نتحدث عنهم . ويبدو هذا غريباً في نظري ،
فالقصة — في هذا اللون بالذات من ألوان الأدب — لا شك
أن لشخصية الكاتب وحياته الأثر القوي في إنتاجها . . . »
ثم يقول :

« فلم لا تحاول أن تخرج من عزلتك ، وتعرف إلى من
تكتب عنهم . بل وتسكون معهم صداقات روحية . فإذا
أمسكت بقلمك بعد ذلك لتتحدث عن إنتاجهم لم جمعت بين
الصورة والأصل ، كما أنك ستستخدم تاريخ الأدب المعاصر ، فتترك

« أود قبل أن أتحدث عن « وحى الأربعين » أن أعلن إليكم صداقتي لصاحب « وحى الأربعين » ، وأن هذه الصداقة شرط أساسى للدراسة والنقد — ولا سيما نقد الشعر ودراسته — فأنت لن تستطيع فهم الشاعر وتحليله حتى تتصل بقلبه وعقله ، ولن يقاوم لك الاتصال بها حتى تكون صديقاً للشاعر ، وحتى يكون بينكما تواد وتعارف قديم .

« وربما جهد غيرى فى مثل هذا الموقف أن ينكر صلاته بالرجل الذى يتحدث عنه ، وربما جهد أن يعلن إليكم أنه تخلص من صداقته ، ليخلص إليكم برأيه البرىء !

« أما أنا فلا أنكر ! وأما أنا فلم أحاول التخلص من هذه الصداقة ؛ لا . بل إنى لأعلن إليكم أننى اتصلت بالأستاذ العقاد لأستوضحه بعض النقاط ، ولأننا كد من بعض ما كنت فى شك منه .

« ولست أخشى من هذه الصداقة — على أشدها — أن تؤثر فى رأيى . لأن لى صداقة أخرى أقوى من هذه الصداقة . وهى صداقتى لضميرى . لا . بل صداقتى لشخصيتى ، وحرصى عليها أن تقضى فى أية شخصية أخرى ... »

وأنا اليوم بعد أحد عشر عاماً كما كنت يومذاك بفارق واحد . وهو أننى لم أعد أعنى اليوم — كما كنت أعنى يومذاك — بإعلان « صداقتى لشخصيتى وحرصى عليها أن تقضى فى أية شخصية أخرى ... »

إننى لم أعد أحرص اليوم على مقاومة الفناء فى الشخصيات الأخرى ، لأننى عدت أكثر اطمئناناً لعدم الفناء ، وإنى لأعرف اليوم أن صيحتى يومذاك إنما كانت صبيحة الخائف الذى يتحدث نفسه فى الظلام ، ويتقى عنها الأوهام لبشر بالاطمئنان !! لقد كنت أتحدث يوماً عن العقاد . وكانت شخصية العقاد هى الشخصية الوحيدة التى أخشى الفناء فيها — كنت أحس هذا بينى وبين نفسى — ولقد ظلت هذه الخشية إلى وقت قريب حينما بدأت أشعر أننى قد تخلصت . وأننى أأنفج بالعقاد ولكنى لا أفلده . وأن لى طريقاً ألج معالمة وأستشرف آفاقه . وأننى

وأنا اليوم على هذا الرأى مع اختلاف فى التطبيق والتفسير . فالصدق الفنى — كما أفهمه اليوم — ليس من الضروري أن يحقق الصدق الواقعى . وحسبه أن يبلغ صدق الإحساس بالحياة وصحة الشعور بالطبيعة ، وأن يعبر بعد هذا عن الخلدجات المستسرة فى الضمير ، وإن لم يطابق تصرف الفنان الظاهر للعيان ! فهذه الصورة المستسرة هى الصورة الفنية مترجمة إلى لغة التعبير

على أن المعجز لسبب ما عن تحقيق الشيء فى عالم الواقع ، كثيراً ما يقوم الفنان لتحقيق ذلك الشيء فى عالم الفنون . سواء أكان سبب المعجز شخصياً أو كونياً . مثال ذلك شاعر أو قصاص مندفع بحكم بنيته أو ورائاته أو مزاجه إلى الارتكاس فى حمأة الشهوات ؛ ثم نجده يتفنى بالمثل الرفيعة أو يرسم شخصياته نماذج للترفع أو الصوفية ...

لهذا الفنان عالمان : عالم الواقع الملموس ، وعالم الرغبات المكنونة . وعالمه الفنى هو هذا العالم الأخير . إنه ذو شخصية مزدوجة . نعلم ذلك من صورة شخصه ، ومن صورة فنه . وليست إحداها بكاذبة . وهنا يكون لمعرفة الشخصية قيمتها فى تحليل هذا الازدواج !

والموانع الكونية شبيهة بالموانع الشخصية . وصراها أكثر وأكثر . وما المدينة الفاضلة والطوبى المصرية وأمثالها إلا من صنع هذه الموانع الكونية ، والرغبات الكونية كذلك . فأنا حريص على أن أعتقد أن للكون رغبات مضمرة فى النسيان المطلق تمثلها رغبات الأفراد الفانين !

ولست كذلك ممن يخشون غلبة الملابس الشخصية على الأمانة الأدبية فى النقد — إذا أنا عرفت أشخاص المتفردين — ولا ممن يخشون اتهام بعض القراء لى بأن لهذه الملابس دخلاً فى توجيه النقد ، تحت تأثير الصداقات والخصومات !

وقد رقت قبل أحد عشر عاماً كذلك ألقى محاضرة عن « وحى الأربعين » ديوان الأستاذ العقاد فى « رابطة الأدب الجديد » فبدأتها بهذا التمهيد :